

الذكريات الباكرة لدى المرأة عون بالحماية المدنية (دراسة حالة)

The early recollections of a fire-woman (case study)

الباحثة: ريان حوحو، جامعة بسكرة، الجزائر.

Mail : houhouravane@yahoo.com

الدكتور: خالد خياط، جامعة بسكرة، الجزائر

تاريخ القبول : 2017/8 /18

تاريخ الاستلام: 2017/5/22

الملخص:

إن المراحل الأولى من حياة الطفل مهمة جدا وقد صارت محور اهتمام الباحثين لأنها تتشكل فيها شخصيته لذلك تساعد الذكريات الباكرة في التعرف على شخصية الفرد واتجاهاته في الحياة ومنها التوجه المهني الذي يتماشى و يتلاءم مع منهاج عيشه و تساعده على تحقيق هدفه في الحياة. يهدف هذا المقال إلى التعرف على أولى الذكريات الباكرة لدى امرأة عون بالحماية المدنية وإبراز صلتها الجلية بخيارها المهني. فعلم النفس الفردي يؤكد على وجود هدف لاواعي في اختيار الفرد لما يتذكره أكبر قدر من الوقت يرتبط بمنهاج عيشه ويتضمن مختلف خياراته في الحياة.

الكلمات المفتاحية: الذكريات الباكرة؛ منهاج العيش؛ المرأة العاملة عون بالحماية المدنية.

Abstract:

The early stages of a child's life are very important and they became the center of interest for researchers because the child's character will be formed during his first years of life. Therefore, the early recollections help in the identification of an individual's personality and character, including his professional orientation. This latter should be consistent and fits with his life style, and help him to achieve his goal in life. This article aims to show the earliest recollections of a fire-women and its evident connection with her professional career. Individual psychology emphasized the existence of a subconscious goal in his choosing of what to remember for a long time, related to his style of life, and includes his various choices in life.

Keywords: the early recollections; life style; fire-woman.

مقلمة:

المراة هي أنثى الإنسان البالغة، كما هو الرجل، وتستخدم الكلمة لتمييز الفرق الحيوي (البيولوجي) بين أفراد الجنسين أو للتمييز بين الدور الاجتماعي بين المرأة والرجل في الثقافات. فهي لها أدوار مختلفة ودورها أساسي في كل المجالات، فهي الأم والأخت والزوجة ومنشئة الأجيال وليس هذا فقط بل أصبحت تخرج لميدان العمل لتحقيق ذاتها.

المراة منذ القدم كان لها أدوار متعددة ومختلفة حسب طبيعتها وحسب اختيارها، وكما نعلم أنها كانت تشارك في جميع الأعمال حتى في الحروب، وشاركت في العديد من مجالات الحياة الاجتماعية. إن خروج المرأة إلى ميدان العمل والاشتغال مقابل عائد مادي ظاهرة جديدة على مجتمعاتنا بدأت تدريجيا في العشرينيات من القرن الحالي وبالرغم من أن المرأة الريفية تخرج لمساعدة الرجل في أعمال الحقل منذ زمن بعيد.

أوجز أدلر فكرته لوظيفة المرأة أن هناك علاقة تفضيل بين الفتيان والفتيات ودورهم أعظم لذلك فمن الطبيعي أن تكره الفتيات مهامهن في المستقبل والأدوار الدونية وأن لا تقتنع بدور أقل من دور الفتيان وعندما تتزوج فتعبر عن المقاومة لدورها من خلال رفضها لدور الأمومة، فمن خلال ذلك إن الكثيرين ينظرون لدور المرأة انه دور ثانوي لدور الرجل وحتى في الطفولة نجد أن الفتى ينظر إلى العمل المنزلي انه وظيفة النساء فقط والقيام بالإعمال المنزلية ليس من دور الرجل وقد يمس من كرامته⁽¹⁾.

ففي هذه الدراسة حاولنا التقرب من النساء العاملات بالحماية المدنية والتعرف على منهاج عيشها، خاصة انها تتعاضد للخطر الدائم والتدخلات السريعة. واعتبر أدلر أن الاختيار المهني نابع من منهاج عيش الفرد ومن طفولته. ويمكننا التعرف على توجه الفرد واختياره المهني من الذكريات البكرة وهذا ماسنحاول التطرق اليه في هذا البحث.

I. اشكالية البحث:

اقتحمت المرأة المعاصرة مجالات وأدوار الرجل وأصبحت تطالب بالمساواة بينها وبين الرجل، ومن بين هذه الأعمال نجد مجال الحماية المدنية. إن هذه المهنة تتطلب خصائص بنية جسدية ونفسية قوية والتدريب الجيد للتدخلات السريعة في مواجهة المخاطر التي يمكن أن تتعرض لها. ساهمت المرأة

مساهمة واضحة في هذا المجال من إسعاف وإنقاذ وإطفاء، وأصبحت المرأة قادرة على القيام بأدوار مختلفة في الحماية المدنية، بل أصبحت جزءاً منها لما تقوم به من عمل ميداني. ومن المعروف إن المرأة مخلوق ضعيف تتمتع بالطبيعية ويطغى عليها الجانب العاطفي والوجداني، لذلك فالمرأة التي تختار هذا المجال قد يتأثر هذا الجانب فيها.

إن اختيار مهنة من المهن يخضع لعوامل متعددة بيئية ونفسية، وقد اعتبر علم النفس الفردي ومؤسسه أدلر أن مختلف خيارات الفرد الدراسية والمهنية والاجتماعية خاضعة لمنهاج عيشه الذي يتشكل في بداية الحياة وبالضبط في السنوات الخمس الأولى من حياته. وهذه الفترة تنتهي بالنمو الكامل للانسان والتثبت الذي يتبعه لموقفه أمام الحياة ومن هنا يمكننا تفسير اختياراته في مسار حياته أمام المواقف التي يمكن مواجهتها⁽²⁾.

إن الذكريات الباكرة من بين التقنيات المساعدة في كشف أسلوب الحياة الفرد وكذلك الاختيار المهني لديه، حيث أثبت الأدليون بوجود هدف لاواعي في اختيار ما نتذكره لأطول مدة زمنية رغم أن الذكرى بحد ذاتها هي واعية ويمكن تذكرها عند الطلب. وكما أكد أدلر أن هذه الذكريات هي عبارة عن تقارير صحيحة حدثت للطفل فهذه الذكريات تبقى بنفس المغزى والقدرة على التعبير عن هدف الفرد ومن خلال يتضح الإطار المهني الذي سوف يختاره الفرد وخاصة إذا كانت ذكرياتهم مليئة بالأحداث الدالة على وجود نمط وظيفي معين، إن هذا العمل كان حكرًا على الرجال لأنه يتميز بالقوة البدنية والنفسية ولكن تغير هذا الأمر وأصبحت المرأة تعمل في جميع المجالات، وهذا ما دفعنا للتساؤل حول الخصائص النفسية التي تظهر لدى هذه المرأة للانخراط في هذا العمل الشاق. وكذلك قدرتهن بالاستمرار في هذا القطاع الذكوري، من خلال فحص أكثر التعبيرات النفسية لها دلالة على نفسية وشخصية الفرد هي ذكرياته الباكرة. واعتمادا على المفاهيم الأدلرية صغنا التساؤل التالي :

ما المحتوى النفسي للذكريات الباكرة لدى المرأة عون بالحماية المدنية ؟

- أهمية البحث:

- الذكريات الباكرة ودوافع الاختيار المهني للمرأة العاملة عون بالحماية المدنية.
- التطرق إلى مفهوم نفسي غير متداول يتمثل في المحتوى النفسي للذكريات الباكرة.

- التعريفات الإجرائية لمصطلحات البحث:

- **المرأة العاملة عون بالحماية المدنية:** وهي الأنثى الراشدة التي تمارس نشاطا مهنيا في وحدة الحماية المدنية وهي مكلفة بالتدخلات عند حدوث الكوارث الكبرى والإسعافات وإعداد المخططات الوقائية من أخطار الكوارث الكبرى ...
- **منهاج العيش:** هو القانون النفسي الدينامي الذي يسير الحياة النفسية للفرد ويتحكم في كافة أشكال تعبيراتها، ويتم يمكن تحديده ودراسته من خلال أدوات محددة لدراسة منهاج العيش (تشكيل الأسرة والذكريات الباكورة والأحلام).
- **الذكريات الباكورة:** هي أولى الأحداث والمواقف التي تتذكرها المرأة العاملة عون بالحماية المدنية على أنها حدثت لها في مرحلة الطفولة.

II. مدخل مفاهيمي:

1. تعريف منهاج العيش: هو مفهوم شمولي لنمط عيش الفرد في حياته النفسية. واعتبر العالمان الأدلريان أنه "خطط طريقتنا فيعيش حياتنا فهو يحدد كيف يدرك الفرد المثير و يؤوله ويستجيب لذلك المثير" (3). وهناك من اعتبره الإستراتيجية المتبعة في حياة الفرد التي تصبح جزء لا يتجزأ منه فهو مستمر عبر الزمن ويؤثر في طريقة عيش الفرد ولا شيء ينفصل عن منهاج العيش فصداه متواجد داخل الفرد ويخرج إلى العالم الخارجي من خلال افعاله وسلوكاته.... الخ.

2. تعريف / مدلول الذكريات: هي ما نحمله معنا دائما ليذكرنا بالأحداث التي عشناها، ولا يوجد ما يمكن أن نطلق عليه "ذكريات بالمصادفة"، فمن بين آلاف التعبيرات التي تمر بالفرد يختار أن يتذكر تلك التعبيرات التي تترك انطبعا عليه وعلى مشاكله وإن مثل هذه الذكريات تمثل قصة حياته، وهي قصة يسترجعونها المرة بعد المرة، بغرض تشجيع أنفسهم على التركيز على هدفهم الأساسي، أو يعدون أنفسهم عن طريق الخبرات السابقة لمواجهة المستقبل بطرق مجربة وموثوق بها (4).

أوجز أدلر أنه لا نستطيع أن نقدر بصورة دقيقة قيمة ومعنى هذه الذكريات، إلا إذا ربطناها بأسلوب الحياة الشامل (منهاج العيش) والكفاح الرئيسي في تقدمه نحو السمو، وأيضا الذكريات الخمس الأولى نجد فيها أجزاء من نموذج الفرد وإشارات مفيدة حول الأسباب التي أعطت تصميم

الحياة شكله الخاص، ويمكننا أيضا أن نلمس الإشارات الأكثر ضمانة حول الجهد الشخصي والتمرن الشخصي لمواجهة النواقص والمصاعب العضوية الجسدية في البيئية الأولى⁽⁵⁾.

3. الذكريات الأولى وعلاقتها بمنهاج العيش: نعلم أن علم النفس الفردي هو مقارنة تتبنى مبدأ الغائية لذلك فالذكريات الباكرة:

- هي من إنتاج الفرد الذي قرر الاحتفاظ بهذا الحدث الخصوصي، بدلا من كونها نتيجة سببية لخبرة معاشة معينة .
- هي - إلى حد ما - مغايرة للوقائع الحقيقية (الموضوعية)، وهي إلى ذلك الحد من بناء الفرد شخصيا.
- تضمن الذكرى، كيفية استجابة الفرد للموقف المسرود أهم من الموقف نفسه⁽⁶⁾. إن منهاج العيش يتشكل من خلال السعي نحو هدف خاص للسمو. من أجل ذلك يجب أن نتوقع أن تكون كل كلمة وكل فعل وكل شعور جزء أساسيا من خط العمل كله. ويكون خط العمل هذا أوضح في بعض المخططات منه في محطات أخرى ويكون هذا بالخصوص في الذكريات الباكرة⁽⁷⁾. لذلك تستخدم في العلاج النفسي لبنين للمفحوص كيف يتصرف ويواجه نمطيا المستقبل. ويحتفظ بهذه الصورة معه منذ طفولته كمذكرة أو منبه لأجل المستقبل⁽⁸⁾.

من هنا جاءت الأهمية القصوى لمعرفة ماهية الذكريات الأولى، فالذكريات الأولى توضح الأصل الذي خرج منه منهاج عيش الفرد في أبسط صوره . ويمكننا الحكم - من خلال تلك الذكريات الأولى- على طفولة ذلك الفرد، وعلى ما إن كان هذا الطفل قد تعرض لتدليل زائد أو إهمال، وما مدى تدريب ذلك الطفل على "التكافل" مع الآخرين ؟ ومن مجموعة الأفراد التي يفضل الطفل التكافل معها ؟ وما المشكلات التي واجهته ؟ وكيف استطاع التغلب عليها ؟ وما هو الأسلوب الذي اتخذته؟⁽⁹⁾.

من ثم إن أردنا أن نتعرف على منهاج عيش شخص ما -صغيرا أو كبيرا- وجب علينا أن نسأله عن ذكرياته الباكرة بعد أن نستمع قليلا إلى ما يشكو منه، ثم نوازن بينها وبين ما يذكره من

حقائق أخرى؛ ذلك أن منهاج العيش لا يتغير قط في معظم أجزائه، فالشخص الواحد يظل هو بعينه محتفظاً بشخصيته وبوحدته وبأسلوبه في الحياة.

4. تشكيلة الأسرة ورتبة الميلاد النفسية:

تشكيلة الأسرة: هو مصطلح يهتم بالخيوط الأسري للطفل والنقاط الأساسية التي تتدخل في تشكيل شخصية الطفل والتأثيرات المركزية والمحيط بالطفل وما ينبغي فعله لتحقيق الانتماء واتخاذ مكان في العالم والشعور بالقيمة والأهمية⁽¹⁰⁾.

رتبة الميلاد النفسية: عرف كامبيل ومعاونوه رتبة الميلاد النفسية على أنها: "الخصائص السلوكية والشخصية التي أشار إليها الأدلريون بأنها مشتركة بين كل وضعية ترتيب ميلادي"

إن وضعية الطفل النفسية داخل الأسرة مهمة لأنها تكون نتاج لشخصية الطفل في المستقبل، فكل شخص له مكانة خاصة داخل الأسرة ويمكننا الإشارة إن رتبة الميلاد النفسية ورتبة الميلاد الزمنية يمكن أن تكون متطابقة ويمكن العكس، فرتبة الميلاد الزمنية تعود ترتيب التسلسل الولادي، أما رتبة الميلاد النفسية تعود إلى وضعية الطفل داخل الأسرة. فهذه الأخيرة هي التي تؤثر على أنماط شخصية الطفل ومنهاج عيشه⁽¹¹⁾.

III. الإطار التطبيقي:

1. المنهج المتبع في البحث: هو المنهج العيادي. هو أسلوب منهجي يتبعه الباحث الذي يهتم بدراسة كل فرد على حدى فريد من نوعه والهدف هو فهم شخصيته⁽¹²⁾. ويستخدمه الباحث لدراسة ظاهرة معينة والاعتماد على دراسة حالة للتعرف على خصائص تلك الحالة والتعمق وهو يركز ويلاحظ على كل ما يصدر من الحالة⁽¹³⁾.

2. أدوات البحث: المقابلة النصف موجهة، استبيان منهاج العيش الذي أعده BIBLICAL COUNSELING CENTER (2009)⁽¹⁴⁾ يتكون من ثلاث محاور.

3. حالة البحث: الحالة فريدة تبلغ من العمر ثمانية وعشرون سنة، غير متزوجة. علما أن الحالة قد عملت في كل من التدخل الاستعجالي وفي الإدارة .

4. عرض وتفسير البيانات:

1.4. بيانات ذاتية من المقابلة مع الحالة:

تعتبر الحالة "فريدة" الرابعة والأخيرة داخل الأسرة، عبرت بصريح العبارة أنها لم تكن مدللة بل تتحمل المسؤولية، تعزو هذا لفارق السن المحدود عام واحد بينها وبين أختها التي أخذت كل الدلال من طرف الأهل وخاصة الأب وحرمتها منه لأن أسرتها كانت تخاف على مشاعر أختها مع عدم مراعاة لمشاعرها في قولها "أصبحوا يدللوها أكثر مني باه متغيرش علاجال جيت وديتها البلاصة نتاعها وبيناتنا عام c'est pour ça عادو يدلوها أكثر مني".

كما وصفت الحالة طفولتها بأنها فتاة محتقرة من طرف أسرتها وكانت منسية وليس لها أهمية من خلال قولها "... كنت محقورة بزاف كانوا دما ينساوني في دار جدي وكانوا لتيين غير بأحتي لي قبلي". اعتبرت نفسها أنها كانت مشاغبة وتلفت الانتباه وأن لديها طاقة كبرى فاختارت الرياضة. صرحت بأنها تميل للجنس الذكري لأنهم أكثر قوة من الإناث "أنا تميل للذكور أكثر ونشوف لبنات ضعاف وييكو ياسر".

اعتبرت الحالة أن أختها التي سبقتها هي الأقرب والأكثر شبيها من خلال صفاتها وأن لديها شخصية قوية وكما ذكرت أن الذكر أيضا يشبهها، أما أختها الكبرى اعتبرتها الأكثر بعدا عنها لسبب ضعها وبكائها وكما ذكرت الحالة أنها تكره البكاء لأنه ضعف "أنا أكره البكاء".

ترى نفسها ذات شخصية قوية وطموحة لدرجة كبرى ومتفانية في عملها حيث رفضت الزواج من الشخص الذي لا يقبل عملها من خلال قولها: "هو مسؤولية وهو راح يؤثر على خدمتي وهذا الشيء يقلقني وأنا منخلش خدمتي علاجال راجلي". ترى أن لها درجة عالية من الثقة بالنفس.

2.4. بيانات موضوعية من المقابلة مع الحالة:

من خلال المقابلة توصلنا إلى استخلاص بعض البيانات النفسية حول الحالة، كانت منعزلة قليلا وتحب الجلوس وحدها وأحيانا عندما تجد ضجة في مكتبها تخرج إلى الفناء وتحدث في الهاتف لكي تبعد عن تلك الضجة وخاصة عندما يزدحم المكتب ببعض النساء العاملات هناك.

تميل للجنس الذكري وتنسب له مختلف صفات السمو والتفوق وتعتبره أكثر قوة من الإناث "أنا تميل للذكور أكثر". في المقابل، الحالة تنفر من النساء وتنسب لهن مختلف صفات الضعف والدونية حيث تعتبرهن ضعيفات ويكفين كثيرا "نشوف لبنات ضعاف ويكو ياسر". وتؤمن وتشعر بتبعية المرأة للرجل "الرجال أقوى من النساء" فالمرأة ضعيفة وحنونة ... زيد المرا تابعة للرجل "وتعتبرها "ودبما نقول نحب راجل يكون راجل ونص علاجال أنا مسرجلة ". وقد اتضح نفورها من جنسها الأثوي بشكل صريح من خلال تمنيتها عدم إنجاب إناث وميلها لألعاب الذكور " كان عندي poupon جابهولي بابا" وأيضا "نحب نلعب الدويرات، والسينيات والكراكي " وهي ألعاب ذكورية خالصة تتميز بالمنافسة والقوة .

وقد تكررت كثيرا في مقابلتنا معها مواضيع السيطرة والحرية التي كانت محور اهتمامها. وهي تحاول التخلص من الخضوع والتبعية واتخاذ طريق القوة والسيطرة والابتعاد عن مواقف الدونية ومظاهر الضعف التي تنسبها للأنوثة كالبكاء "أنا أكره البكاء". وخاصة في موضوع الحب "رغم أنني كنت نرفض الخطابين بزاف وكنت حابة نعرف لي عاد نديه علاجال قادر متعجبنيش عقليتي".

الأب كان مسيطر على أمها وكانوا كثيري الشجار وأن الأب كان لا مبالي بكلام أمها وكان عنيد لدرجة كبيرة. مما أدى أن يكون لديها ميل كبير لحب للسيطرة من خلال تقليد الأب و تصرفاته نحو أمها فتأثرت الحالة بسيطرة أبيها و ضعف أمها حيث قالت : "كانت تغيضي ماما ".إن الحالة تميل للمغامرة والمجازفة مثل الذكور وتشعر أن الأمور سوف تتغير لو كانت من الجنس الذكري إذ تزداد حريتها وسيطرتها على من حولها ، و إذا أتاحت لها الفرصة لتغيير جنسها سوف تغيره.

أما موقف الحالة من الحب فكان باردا وهي غير متحمسة للعلاقة مع الجنس الآخر. أما الزواج والأولاد بالنسبة إليها فهما مسؤولية تجعل المرأة خاضعة وبلا طموح خاصة عندما تترك عملها.

وأخيرا إن موضوع المال يكتسي أهمية بالغة في حياة الحالة فهي تحرص على الاستقلال المادي مما يجعلها متحكمة وتحب أن تكون مسؤولة عن نفسها خاصة في الأمور المادية.

3.4. استبيان منهاج العيش:

1.3.4. تشكيلة الأسرة ورتبة الميلاد النفسية:

الحالة تعيش في أسرة نووية مكونة من والدين وبنيتين وذكور، والفارق بين الأخت الكبرى والذكر الثاني عام وبين الذكر والأخت الثالثة أربع سنوات وهذا الفرق الوحيد الكبير. أما بين الأخت الثالثة والحالة أي الرابعة هو عام. ان الحالة تتمتع برتبة الميلاد الرابعة وهي الطفل الأصغر داخل الأسرة، ولكنها نفت فائدة الرتبة بالنسبة إليها وترى أن الأكثر دلالة في الأسرة هي أختها التي تسبقها وأن والديها كانوا يدللون أختها كثيرا بغرض مراعاة شعورها لأن الحالة أتت بعد عام مباشرة وأخذت مكانها، لذلك لم تحظى بالدلال والرعاية من طرف الأسرة ، لذلك كانت تحاول إثبات وجودها ولفت انتباه والديها.

تحدثت عن التحالفات داخل الأسرة، حيث نجد هناك انقسام داخل الأسرة فهي ترى أن الأب والذكر الوحيد وأختها الثالثة وهي لديهم تشابه في نفس الصفات مثل كتمان العواطف والسلطة، فهي ترى أن الرجال أفضل في الحفاظ وعدم إظهار العواطف فهذا قوة وليس ضعفا و يتمتع به الرجل وليس المرأة، أما الأم كانت ضعيفة وهذا ما رأيته في الأخت الكبرى فهي ليست قريبة منها وهي شبيهة بالأم في ضعفها وليست طموحة مثلها فهي ترغب أن لا تكون مثلهما (الأم والأخت الكبرى).

القيم الأسرية: تعتبر الرياضة بالنسبة للإخوة دليل على القوة، وأن حالة اقتنعت أنه من يريد الوصول لكسب اهتمام الأب عليه أن يتميز في ممارسة الرياضة، لأن الأب يحب ممارستها كثيرا. وكذلك وجدت فائدتها في أنها تقوم بتفريغ الطاقة السلبية التي شحنت بها من الغيرة.

2.3.4. الذكريات الباكورة:

الحالة لديها ذكريتين ترى أنها أحدثت تغييرا كبيرا في حياتها فانغرستا في حياتها فالذكرى الأولى تقول: "في عام 1992 كان في عمري خمس سنوات في أيام الصيف كنا نلعب أنا وأختي كالعادة، وكنت لعب بالكبريت وكنت أحاول إشعال النار في الشرفة وبعد محاولات عديدة نجحت، فناديت أمي وقلت لها أسرع تعالي "روعة"..... فجاءت مسرعة ثم بات بالصراخ وبعدها هربت إلى دار الجيران، وبقيت انظر من النافذة فرأيت رجال الحماية المدنية يطفئوا النار وبعد مدة من الزمن جاء أخي يبحث عني في دار الجيران فأراد أن يرجعني إلى المنزل، فرفضت، بعدها خرجت اجري وأقول له "لا لا

أريد الرجوع للبيت سوف أسكن في عشة... لأنني كنت خائفة من أبي، فبقي يسايرني حتى رجعت إلى المنزل، فوجدت أبي ولم يفعل لي شيء، بل بالعكس كان غدا أول أيام دراسة لي فوجدته اشترى لي الملابس والقليل من أدوات الدراسة".

أما الذكرى الثانية وهي إلى حد الآن لم تنسى تفاصيلها وأبدت ألما كبيرا عندما كانت تسرد فيها وأيضاً حاولت في البداية الاعتراض عن الدخول في تفاصيلها ولكن بعد الكلام معها وافقت على التوغل في تفاصيل القصة فقالت: "هي من أكبر ذكريات في حياتي التي لا أنساها وهي يوم وفاة أُمِّي، واحد النهار كنا نقرأو وبابا كان يخدم وماما كانت مريضة بزاف وداحت، عبطت أختي للحماية المدنية وجاؤ هزوها ودخلت للسيطار وهي كانت مريضة بالقلب ومريضة psychiquement علاج مات خويا صغير في الزيادة وهي في الطالبة وبعدها سمع بابا وراحلها قالنا راهي خرجت من الكوما وفي الليل راح بابا باه يطل عليها لقلها توفات وكيفا جا للدار مقالناش وحنا نسقسو فيه واش راهي ماما وهي جات خالتي تبكي وقالتلنا ماماكم توفات"

3.3.4. الأحلام:

- الحالة لديها منامان الأول: دائما كانت تتأبني أحلام مزعجة منذ زمن بعيد كنت أرى حيوانات يتبعوني وأنا نهرب ونجري وهموما يجرؤ مورايا بصبح ما يقيسونيش كنت دوما نوض مفزوعة.
- أما الحلم الذي يتكرر في النوم: هو أني أرى في المنام أنني أجد النقود في الطريق وأنا أجمع فيهم ونحفر في الأرض ونلقى الأشياء الثمينة ونزيد نجمعها".

5. تفسير البيانات للحالة:

انطلقت الحالة عند سردها للذكرى بتحديد مدقق للتاريخ مما يدل على أن الحالة كانت متأثرة كثيرا بهذه الفترة ولها وقع خاص على وجدان الحالة حيث جاء في قول الحالة "في عام 1992 كان في عمري خمس سنوات في أيام الصيف" فهي حددت العام والفصل والسن. وأيضاً نجد أن الحالة كانت بطله القصة ومع ذلك انطلقت عند سردها للذكرى أنها كانت تلعب مع أختها "في أيام الصيف كنت اللعب مع أختي" من هنا نجد أنها كانت تشعر بوطأة ونفوذ الأخت عليها وان هناك صراع تنافسي بين الإخوة مما أدى لحدوث عقبة إضافية في طور نمو الحالة، كما أن الحالة ترى أن أختها التي سبقتها

أخذت مكانها وأخذت الحب والرعاية والدلال الذي يفترض أن تحصل عليه هي، ولكن نظرا لمراعاة شعور أختها من طرف الأسرة من خلالها قولها : "أصبحوا يدلونها أكثر مني بآه متغيرش"، عانت الحالة بالإهمال واللامبالاة وعدم الاهتمام مما ولد لديها شعور بالنقص واللامساواة والبحث عن التعويض. حيث أكد أدلر أن مشاعر الضعة والدونية التي تظهر واضحة جدا في الحياة وتتطلب التعويض (15).

عبرت الحالة عن التفضيل في أن الأب كان يفضل الذكر وليس بمقدار أختها التي سبقتها إلى حد الآن، وهذا الأمر زعزع من نفسيته وحطمها وترك أثر نفسي عليها فالتجأت للرياضة في قولها "كنت غير بزاف من هذا التفضيل حتان عادتلي عقدة من أختي بصح نختها كي درت الرياضة". فمن خلال الذكرى الأولى يمكننا تفسير المنحى الذي انطلقت منه الحالة، حيث اعتبرها أدلر من بين مفاتيح شخصية الفرد، لأنها كل ما نحمله معنا دائما، فإنه من بين آلاف التعبيرات التي تمر بالفرد يختار أن يتذكر تلك التعبيرات التي تترك انطبعا عليه (16).

أخذت الحالة تمارس الرياضة وهذا بهدف إحراز هدف اكتساب محبة الأب الذي كان مركزا للسلطة والقوة داخل الأسرة، ففي الذكرى الأولى نجد أن الحالة حاولت إشعال النار في الشرفة بعد محاولات عديدة من خلال قولها: "كنت ألعب بالكبريت وكنت أحاول إشعال النار في الشرفة وبعد محاولات عديدة نجحت". فهنا نستنتج أن الحالة لديها قدرة على المثابرة وعدم الفشل فهي تحب تكرار العمل الذي ترغب في تحقيقه عدة مرات ومع عدم اليأس، وكذلك نلاحظ اختفاء دور الأخت رغم أنها كانت مذكورة في مطلع الذكرى وهذا دليل على أن الحالة كانت تعاني منغيرة تجاه الأخت وحاولت إبراز ذاتها ولفت الانتباه وخاصة عندما قالت: "وبعد محاولات عديدة نجحت" وكأنها تحاول أن تقول (أنا التي نجحتوا ليست أختي المفضلة أنا الأقوى)، أما إشعال النار يمكننا الاستدلال أنه رغبة في الظهور والتباهي ولفت الانتباه المحيطين بها.

من خلال الذكرى الأولى يمكننا استنتاج خصائص صفات الأم والأب، فعند حضور الأم بعدما نادتها الحالة عند إشعالها للنار، أخذت الأم تصرخ على عكس تصرف الأب الذي اعتبرته هادئ حيث قالت: "فناديت أُمي وقلت لها أسرع تعالي "روعة"..... فجاءت مسرعة ثم بدأت بالصراخ وبعدها هربت إلى دار الجيران " لذلك الحالة هربت بعد صراخ الأم لأنها لا تحب الصراخ. على عكس

تصرف الأب فعندما سألناها عن صفات الأب قالت " بابا كان صعيب....كتوم بزاف ومكافح ومدير يخمم ياسرو ذكي " .

مما جعل الحالة لا تعبر عن خوفها منه وهذا ما جاء في الذكرى الأولى ورفضها للعودة إلى المنزل، وكما اعتبرت أن أخيها الذكر هو الشبيه بالأب لأنه ذكي وكتوم ويتصرف بروية وحتى الذكر ذكرته في الذكرى الأولى حيث تعتبره الوسيط بينها وبين الأب وتصرف الأخ كان واضح من خلال الذكرى الأولى لأنه تصرف بتعقل ورزانة وحاول إقناع الحالة للعودة للمنزل بعد هربها إلى منزل الجيران. لذلك فتصرف الابن كان شبيها بتصرف الأب خاصة في الحوادث ففي الذكرى نجد أن تصرف الأب عند الحريق ورده كانت هادئة حيث قالت "لا أرجع للبيت سوف اسكن في عشة لأنني كنت خائفة من أبيرجعت للمنزل فوجدت أبي لم يفعل لي شيئا، بل بالعكس كان غدا أول أيام دراسة لي فوجدته اشترى لي الملابس والقليل من أدوات الدراسة"

إن ردة فعل الأب هذه كانت شبيهة بردة فعله في الذكرى الثانية عندما سمع خبر وفاة الأم لم يصدر أي ردة فعل، وأراد أن يكتم الأمر لطلوع النهار وكانت عينا محمرتان ولكن لم يبدي أي انفعال، ولكن الحالة جاءت مسرعة وتبكي وتصرخ بشدة وهذا ما ترك في نفسيها صدمة كبيرة لأنها خافت كثيرا تلك اللحظة. وكذلك ردة فعل الأم شبيهة بردة فعل الحالة عندما اشعلت الحالة النار في الذكرى الأولى. هذا الأمر جعل من الحالة على درجة كبيرة من الاقتناع أن الذكور لديهم قدرة كبيرة على كتمان العواطف وحبس المشاعر أمام الآخرين. وهذا ما جعلها تفضل هذا الأمر وترغب في التحكم لمشاعرها ووجدت هذه الميزة لدى الرجال أكثر، لأنهم أكثر قوة وسيطرة وتحكما عكس المرأة الباكية والخاضعة والضعيفة والتابعة للرجل، مما جعلها تكون المنطق المستقطب من خلال تقسيم المواضيع إلى صنفين: تحديد المواضيع الإيجابية للرجل مثل السيطرة والقوة....الخ. أما المواضيع السلبية فتركها للمرأة مثل الضعف والخوف....الخ. أوجز أدلر فكرته عن رغبة الناس دائما في اتخاذ مظاهر الرجولة وسيلة للتعويض عن القصور الذي يشعرون به وينسبونوه إلى الطبيعة النسائية، لاتخاذ اتجاه حب السيطرة وصلاية الرأي، والضيق الذي يثبت لديها رغبة شديدة في أن تكون رجلا⁽¹⁷⁾.

أما الأم كانت تتميز بالحنان وعدم الطموح والرضوخ لأمر الواقع والضعف. وبما أن الحالة تكره الضعف سوف تكون بعيدة عنها تماما وتختار الحلف الأقوى داخل الأسرة فهي تحاول أن تكون مثل الأب وأخيها الذكر وأختها التي تسبقها حيث أن هناك صفات تجمعهم مثل كتمان العواطف.

أما في الذكرى الثانية أبدت الحالة شعورها تجاه الذكرى قبل سردها لأنه يوم مهم في حياتها حيث قالت: "هي أكبر الذكريات في حياتي التي لا أنساها واحد النهار كنا نقرأ وبابا كان يخدم " نلاحظ أن الحالة انطلقت عند سردها بجملة وهي "واحد النهار" وكأنها تحاول أن تتناسى اليوم وهذا دليل على تأثرها وألمها الكبير خاصة عندما عبرت أن الذكرى كانت أليمة بالنسبة لها.

استخلصت الحالة من خلال الذكرى الثانية ردة فعل الأب تجاه وفاة الأم التي كانت محل إعجاب الحالة حيث حاول الأب أن يكتنم الخبر تلك الليلة لكي لا ينزعج الأبناء مما جعل هذا السلوك الذي قام به الأب يرسخ في ذهن الحالة وتتبنى موقف الكتمان الذي تعتبره نباهة وفطنة من طرف الأب وحاولت ارساخ هذا السلوك في ذهنها، وكما جاء في بداية الذكرى الثانية وفاة الأم وهذا الأمر ترك أثرا قويا في نفسها وهو الشعور بالتهديد الأكبر في حياتها مما جعلها تستنج أن الشخص الضعيف والخاضع هو الأكثر الأشخاص تهديدا بالموت مقارنة بالشخص القوي والمسيطر فهو الأقل عرضة للموت فعند قدوم رجال الحماية المدنية في الذكريتين جعلها ترى أن هذا العمل نبيل يقوم على أساس مساعدة الناس فالتدخل للحل السريع من مهام رجال الحماية المدنية فهي لديها رغبة في مساعدة الآخرين مما جعل لديها أثر عميق خلفه الموت عليها وهذا السبب جعلها تختار مهنة الحماية المدنية وهذا دليل أن الحالة لديها نزعة اجتماعية مرتفعة وسوية ورغبتها الكبير في التعاون ظهرت في إطار عملها واختيارها المهني لمهنة تسعى لمساعدة الآخرين.

حاولت الحالة اتخاذ موقف التعويض النشاط والبحث عن معنى الحرية ومفهومها وإن مرحلة التبعية كانت فاشلة فحاولت أن تتخذ السبيل المناسب لتحقيق الهدف الغائي الذي تسعى إليه. وهذا ما عزز لديها مشاعر الرغبة في السيطرة والاستقلال المادي والقوة وهذا ما نجده في الأحلام، ففي الحلم الأول نجدها كانت تحلم بالكوايس وان الحيوانات تلاحقها والأشياء المخيفة ولكنها تهرب، وهذا يعود لدرجة الخوف التي تحس بها وتحاول مواكبة المشاكل التي تعيشها وشعورها بالخطر الدائم الذي كان يلاحقها، وتحاول التخلص منه بشتى الطرق. والمتمثل في أختها التي سبقتها وحتى ردة فعلها من بعد الحلم (الاستيقاظ) أنها تخاف ولكن تعود للنوم وكأنها تستسلم للأمر.

إن الحالة لديها شعور ورغبة كبيرة في الاستقلال المادي لأنها تخاف من غدر الرجل وحبها في التحكم في زمام الأمور. نجدها تحلم كثيرا بالمال والنقود والأشياء الثمينة وأنها تجدها في الأرض وتقوم بجمعها، لأنها علامة على حب التملك والسيطرة والاستقلال المادي والرخاء الذي ترغب العيش فيه.

وبما أنها تعلم أن الرجل هو المسيطر والمتحكم في ميزانية البيت، وكونها أنثى بيولوجيا ولد لديها مصدر شعور بالقصور الجامح والرغبة في التخلص منه ولتحقيق جميع الأهداف المرجوة التي تسعى إليها، هذا أدى إلى تعزيز فكرة العمل في الحماية المدنية وهذا تم التطرق إليه في الذكريتين. فرجال الحماية المدنية كان لهم دور فعال ففي ذكرى الأولى جاءوا وأطفئوا النار، وفي الذكرى الثانية قاموا بأخذ الأم ونقلها للمستشفى. واختيارها لهذا الإطار المهني لأنه سيوفر لديها كل الرغبات التي تطمح في الوصول إليها، وهي من الصفات الحسنة والسامية مثل الحرية والاستقلال المادي والقوة والقدرة على التفكير بالعقل والتحكم في العواطف وهذا أيضا يحافظ على الهدف المسطر ويتمشى مع منهاج عيش الحالة وكما أنه يحافظ على الوضعية النفسية التي تعيشها. وهذا ما فعلته في الذكرى الأولى من خلال إشغالها للنار والانبهار للموقف فهي تحب المخاطرة والمجازفة، الحالة كانت ترى الأمور سوف تتغير إذا كانت من الجنس الذكري ستزداد حريتها وسيطرته على من حولها كما أنها إذا أتيحت لها الفرصة لتغيير جنسها سوف تغيره حسب موقفها.

أما موقف الحالة من الحب الزواج والأطفال ظهر في الذكريات، فالزواج سوف يجعلها تابعة للرجل ضعيفة "هو مسؤولية وهو راح يؤثر على خدمتي وهذا الشيء يقلقني وأنا منخلش خدمتي علاجال راحلي منخلهش يسلبلي حريتي، وحتى الأطفال مسؤولية أكثر من الزواج " هنا تحاول الحالة رفض القيود التي ممكن أن تسيطر عليها وتجعلها تابعة للرجل. فحسب العالم أدلر أن إحدى العقبات الرئيسية للزواج هي الفكرة المنتشرة في تفوق الرجل بسبب وظيفته، مما يقود الرجال إلى آمال بالسيطرة لا جدوى منها مما يجعل الفتيات ضد دورهن النسائي، فالنساء بدورهن يرفضن العبودية في مجتمع مبني للرجال (18).

ومن خلال هذا يمكننا أن نستخلص منهاج عيش الحالة يتضمن الخصائص التالية:

- **مشاعر النقص:** نتيجة للإهمال والتفضيل داخل الأسرة، مما ولد نقص القيمة والمكانة داخل الأسرة.
- **الحركة التعويضية:** تتمثل في السعي إلى تعويض القصور النجم عن التفضيل داخل الأسرة عن طريق التعويض النشاط المتمثل في الرياضة.
- **الهدف الغائي:** والذي يتمثل في السعي للقوة، وكل الأمور التي تدل عليها والمتمثلة في البحث عن الحرية والسعي للاستقلال المادي عن طريق العمل والوصول إلى السيطرة.

- **ابتغاء السمو:** السعي للحرية وتجنب الضعف وإيقاف التهديد عن طريق الاسترجال.
- **النزعة الاجتماعية:** فهي سوية، تعاون الحالة من خلال لجوئها لاختيار الحماية المدنية.
- **القوة الإبداعية:** من خلال الظهور بمظاهر رجولية وتبني في سلوكيات رجولية.
- **المنطق الشخصي:** مستقطب، من خلال تقسيم المواضيع إلى صنفين: تحديد المواضيع الإيجابية للرجل مثل السيطرة والحرية والقوة أما المواضيع السلبية وضعتها للمرأة والمتمثلة في الضعف والبكاء والتقيد.

IV. التحليل العام للحالة:

مما سبق استخلصنا أن الحالة تمتاز بمنهاج عيش مسترجل. وهذا من خلال المناخ الأسري الذي تربت فيه وعاشت فيه مما ولد لديها الشعور بالنقص واللامساواة في الأسرة والمجتمع، والذي حرك فيها السعي إلى التعويض النشط وهذا الأخير كثيرا ما ظهر في ممارستها للرياضة ك الرغبة في التفرغ الانفعالي نتيجة للضغوط الداخلية المعاشة. كما أن هذا دفع الحالة إلى إنشاء منهاج عيش إسترجالي، من خلال استنتاجاتها حول ضعف المرأة وتبعيتها للرجل. عكس الرجل الذي يتمتع بالسلطة والحرية والقوة وكم العواطف. إن النزعة الاجتماعية لدى الحالة كانت متواجدة من خلال اختيارها لإطار عملي تستطيع من خلاله المساهمة في مساعدة الآخرين من جهة، ومن جهة أخرى يستدعي من المرأة أن تتحلى بالقوة والشجاعة. وهذا الاختيار يتوافق مع منهاج عيشها مما أدى إلى انسجامها في العمل حيث أبرزت وحققت ذاتها من خلاله.

خاتمة:

إن معنى الحياة يعود إلى الفرد هو الذي يقوم بتحديد أهم المواضيع المسيطرة في مسار حياته والتي تظهر في أسلوب حياته. وكما أنها تؤثر أيضا على الاختيار الوظيفي في المستقبل، والتي يمكننا أن نتعرف عليه من خلال الذكريات التي تكون مطبوعة في ذاكرة الطفل وحتى نهاية وجوده على الأرض. فالخصائص التي نلاحظها على الشخص البالغ ما هي إلا انعكاس مباشر للخبرات التي مر بها خلال مرحلة الطفولة، وإن هذه المميزات والخصائص مناسبة لنمط سلوكه وأنه قد اكتسب هذه الخصائص والمميزات من أجل تحقيق هدفه في الحياة، فالدافع الذي أخرجها للوجود هو ذلك الهدف السري الذي

تضعه الشخصية نفسها كهدف نهائي. فهذا هو علم النفس الفردي فهو العلم الذي يهتم بدراسة الفرد والذي اعتبره فريد ومختلف عن الآخرين وأسلوب تفكيره فريد لأنه عاش ظروف فريدة من نوعها، لذلك لا يمكننا تعميم النتائج لأن كل حالة تتميز بخصائصها الفردية التي تميزها عن باقي الحالات.

❖ هوامش البحث:

- (1) أدلر ألفرد (1931)، **معنى الحياة**، ترجمة: عادل نجيب بشرى. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ص 163-165.
- (2) أدلر ألفرد (1929)، **العصاب**، ترجمة: أحمد الرفاعي وفارس ضاهر، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ص 31.
- (3) خالد خياط (2018)، **علم النفس الفردي**. منشورات مخبر التطبيقات النفسية والتربوية. جامعة قسنطينة 2. الجزائر: ص 129.
- (4) أدلر ألفرد (1929)، مرجع سبق ذكره، ص 107.
- (5) المرجع السابق، ص ص 208 - 210.
- (6) Ansbacher·HL. JIP.(1973), Vol 29,press USA : University of Texas, P135.
- (7) أدلر ألفرد (1929)، **الحياة النفسية**. ترجمة: محمد بدران وآخرون لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة: ص 77.
- (8) Ansbacher. ibid.
- (9) أدلر ألفرد (1929)، مرجع سبق ذكره، ص 109.
- (10) Manaster .G .J. **family constellation: meaning .research and future research**. In: salvik's&Carlson.h=J. Readings in the theory of individual psychology. Routledge. New York.(2006). Pp298-299.
- (11) خالد خياط (2014)، **رتبة الميلاد النفسية: مفهوم مركزي في العلاج النفسي الفردي**، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 36/ 37، الجزائر: جامعة محمد خيضر بسكرة، ص 77.
- (12) حلمي المليجي (2001)، **مناهج البحث في علم النفس**، بيروت: دار النهضة العربية، ص 30.
- (13) بيير سوان بور (2014)، **البحث في دراسة الحالة. ماهو ؟ ولماذا ؟ وكيف ؟**. ترجمة : عبد الفتاح على غزال، الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية، ص 16.
- (14) Biblical Counseling Center(2009), **Adlerian life style questionnaire**. Florida .USA : BCC of Palmetto .

(15) Ansbacher.HL.ansbarcher.R.R(eds)(1964), Alfred Adler:**superiority and social interest**. Evanstonil:northwestern university press. p354.

(16) أدلر ألفرد(1929)، مرجع سبق ذكره، ص 107.

(17) إسحاق رمزي (1942)، علم النفس الفردي اصوله وتطبيقاته، ط3، القاهرة، مصر: دار

المعارف، منشورات جماعة علم النفس التكاملية، ص 106.

(18) أدلر ألفرد(1929)، مرجع سبق ذكره، ص 117.